التدرج في منهاج التعليم عند المسلمين

الأستاذ المساعد الدكتور
عادل إسماعيل خليل
جامعة البصرة - كلية الآداب

الملخص :

كان منهاج التعليم في الدولة العربية الإسلامية يتم بخطوات متدرجة متتابعة ، فالتفرد في جوهره يعني التعليم على مقاس كل طفل ، وهذه الخطوات محفوظة ومألوفة عند المربي والمعلم ويمر بها كل متعلم ولكن بتوافق تام مع جهده وإمكاناته واستعداداته.

من هنا تفاوتت سنوات التعليم والتحصيل في الكتّاب والمدرسة بتفاوت القدرات الفردية للدارسين ، ولهذا كان دور العلماء واضحاً وجلياً بالتدخل بأساليب التوجيه الدراسي والمهني مسايرة لحالات كل فرد وميوله.

Gradation in Teaching Approaches Among Muslims

Assist Prof :
Adil Ismael Khlil

College of Arts - University of Basrah
Department of History

-

The curriculum in Arab Islamic state is gradual sequential steps, singularity in essence means education on the size of each child, and these steps are reserved and familiar to the educator and teacher and each learner go through them, but in full compatibility with the effort and abilities and aptitudes.

From here years of education and achievement in office and school vary in capacities of individual students, for this the role of scientists was clear and obvious to intervene in ways that academic and vocational cope with the situations and tendencies of each individual.

تقديـــم :

كـان أسـلوب التعلـيم عنـد المسـلمين أسـلوباً راقيـاً ومتميـزاً يراعـي المسـتوى العلمــي والعقلــي لطلبــة العلــم لــذلك حــرص المعلمــون علــى آليــة التــدرج فــي التعلـيم ، إذ أكـدوا أن الضـرورة التعليميـة تقتضـي عـدم إعطـاء التلاميـذ أكثـر مـن علـم فـي آن واحـد ، حتـى تكـون الفائـدة لهـم أعـم وأنفـع وأشـمل ، ولـو تتبعنـا تاريخيـاً دور الرسـول (ﷺ) والصـحابة (رضـي الله عـنهم) فـي تبليـغ العلـوم الشـرعية لوجـدنا أنهـم كـانوا يسـيرون علـى خطـوات ايجابيـة فـي مراعـاة هـذا الجانـب عنـد المتعلمـين حرصـاً علـيهم مـن السـآمة والملـل أو النسـيان.كـذلك نجـد أن العلمـاء المسـلمين كرسـوا جهـودهم فـي تبليـغ رسـالة التعلـيم علـى وفـق هـذا المنهج ، لأنه يعد من أفضل المناهج استعمالاً وأكثرها انتشاراً.

والتــدرج يعنــي التفريــد فــي العلــوم وهــو فــي جــوهره (التعلــيم علــى مقــاس كــل طفــل) ، وكــان التعلــيم يــتم بخطــوات متدرجــة متتابعــة ، وهــي محفوظــة ومألوفــة عنــد الشــيخ والمعلــم والمــؤدب ، ويمــر بهــا كــل مــتعلم ولكــن بتوافــق تــام مــع جهــده وإمكاناتــه واســتعداداته ، ومــن هنــا تتفــاوت ســنوات التعلــيم والتحصــيل فــي المكتــب والمدرســة بتفــاوت القدرات الفردية للدارسين. (١) .

سنّة التدرج عند الله عز وجل:

يعد التدرج بمفهومه الشرعي سنّة ومنهجاً عند الله سبحانه وتعالى في تعليمه عباده وتربيتهم على الإيمان والتقوى ، وبما أن الله جل شأنه خالق العباد ومصورهم فهو أعلم بحالهم وقابليتهم وقدراتهم الذهنية والروحية والجسمية ، قد راعى هذا الجانب فيهم ، وإذا تتبعنا القرآن الكريم في الكثير من سوره وآياته يتضح لنا ذلك الأسلوب في التربية والتعليم . فلم يُنزل الله عز وجل أوامره ونواهيه وفرائضه وأحكامه جملة واحدة ، بل نراه يمهد ويتدرج في بيان تلك الأوامر والزواجر وآثارها وأبعادها بالحكمة والموعظة واليسر دون العسر حرصاً عليهم من التذمر أو النفور لكسبهم الى الطاعة والهداية وتجنيبهم الكفر والضلالة .

فالله تعالى هو المعلم الأول والمربي الأمثل الذي تميز بالكمال والجلال والرأفة والرحمة في تعليم سيدنا رسول الله ﷺ قال تعالى : ((إ قرأ باسمِ رَبِكَ الذي خَلقَ . خَلقَ الإنسانَ من عَلقٍ . إقرأ وَرَبُكَ الأكرمُ . الذي علَّم بالقلمِ . علَّم الإنسانَ ما لَمْ يَعلَم)).(٢)

ومن الجدير بالذكر أن الله سبحانه وتعالى عندما ابتدأ بتعليم رسوله الكريم محمد ﷺ سار على هذه الطريقة في تبليغ الآيات القرآنية فقد أمره أن يقرأ القرآن على مهل وتدبر وتفكر فقال تعالى: ((لا تُحرِكْ بهِ لسانكَ لتعجلَ به . إنّ علينا جَمعَهُ وقرآنه. فإذا قرأناهُ فاتَبعْ قرآنهُ. ثم إنَّ عَلينا بَيانَه)).(٣) وهنا يدعو الله عز وجل نبيه أن يقرأ القرآن بتأنٍ وتدرج موضحاً لحروفه حتى يسهل فهمه وحفظه وإتقان تلاوته.(٤)، وعلى سبيل تربية النبيﷺ وإعداده على المنهج السليم في تلقي الآيات الربانية والعلوم القرآنية اتخذ الله جل وعلا تلك الطريقة من التعليم لتكون الأساس لجميع العلوم فقال تعالى: ((ولا تَعْجَلْ بالقُرآنِ مِنْ قَبلِ أنْ يُقضى إليكَ وَحيُهُ وقُلْ رَبي زدني عِلْماً)).(٥) أي لا تتمه حتى نتمه لك ، إذ كان النبيﷺ إذا نزل عليه الوحي يقرؤه ويدئب فيه نفسه خشية أن ينسى.(٦) ، فطمأنه ربه بترك الجهد والتعب

في حفظه وتتابعه جملة واحدة لأن هذه المهمة قد تكفل الله تعالى بها فهو المعلم وهو خالق العلوم.

ويبدو أن القرآن الكريم نزل متتابعاً لهذا الغرض الى أن اكتمل ، إذ أن تتابع نزول القرآن دلالة على حرص الباري عز وجل في التدرج بتعليم النبيﷺ على هذه الشاكلة : أولها - لأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن من أهل القراءة ، فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه السهو ، ثانيها- ولو أنزل عليه الكتاب دفعة فربما اعتمد الكتاب وتساهل في الحفظ ، فلما أنزله الله منجماً حفظه وبقيت سنة الحفظ في أمته ، ثالثها- في صورة نزول الكتاب دفعة لو نزلت جميع الأحكام دفعة واحدة على الخلق لكان يثقل عليهم ذلك ، ولما نزل مفرقاً نزلت أحكامه كذلك فكان تحملها أسهل.(٧) ، فضلاً عن ذلك أن الله عز وجل عندما بلغ نبيه الرسالة الإسلامية والأمور الشرعية كان بصورة تدريجية لكي يعي المسلمون تعاليم الدين الإسلامي بسهولة ويسر . ولنا في مسألة تحريم الخمر خير دليل على ذلك ، فالله عز وجل من رحمته بعباده أنه لم يحرمها مباشرة بل جعل ذلك على ثلاث مراحل متدرجاً في تبيان منافعها ومضارها على أنها من الآثام الكبيرة التي تغضب الله وتمحق الحسنات وتقود العبد الى اقتراف الخطايا والمنكرات فقال تعالى : ((يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس و إثمهما أكبر من نفعهما)).(٨) ، و في الثانية استنكر الله عز وجل على المسلمين مجيئهم للصلاة وهم سكارى يتمايلون في مشيتهم لا يعون ما يقولون ولا يشعرون بما يفعلون بقوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)).(٩) ، أما في الثالثة فنراه قد حرمها عليهم لكونها من النجاسات وهي أم الخبائث وقد تهيأت أنفسهم تهيؤاً كاملاً لقبول هذا الأمر برحابة صدر وإيمان مطلق بقوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)) (١٠) .

نستشف من خلال ذلك أن هذا الأسلوب التربوي الإلهي المتدرج فيه مراعاة لمصلحة الناس والعباد حتى لا ينفروا ويتذمروا من تعاليم الإسلام وهم في بداية دخولهم الى الدعوة الجديدة ونفوسهم غير متطبعة على ترك بعض اللهو والمنكرات التي اعتادوا عليها في حياتهم اليومية .

لا شك أن الله سبحانه وتعالى يريد الخير والصلاح لعباده فقد كانت تربيته للمؤمنين تربية متدرجة لقبول الأوامر الشرعية وما فيها من ترغيب وترهيب ، لذلك غرس حب الإسلام في نفوسهم بالإيمان بمبادئه ولأنه يحاكي الذوق والفطرة.. فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت عندما سئلت عن نزول القرآن : ((إنما أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا أثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبداً . ولو نزل لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبداً)) . (١١) وهذه الرواية توضح بشكل جلي أن الله عز وجل تعامل مع العباد بالتدرج في تبليغهم شرائع الدين الحنيف كي لا يملوا ولا ينفروا حتى تنقاد أفئدتهم الى الإيمان وتتطبع نفوسهم على أحكام القرآن. فكان من رحمة الله تعالى أن أنزل القرآن منجماً ومفرقاً ، ولم ينزل دفعة واحدة ، حتى يسهل حفظه من جهة ، وليتمكن المسلمون من فهم تعاليمه من جهة ثانية.

دور الرسول الكريمﷺ في إرساء أسس التدرج في التعليم :

كان رسول الله ﷺ يسير على أسس سليمة ذات أهداف عظيمة في تطبيق المنهج التربوي الصحيح في تعليمه المسلمين أمور دينهم ، مع مراعاة قابلية الفهم والاستيعاب عندهم ، سواء كانوا صغاراً أم كباراً ، نساءً أم رجالاً . وعندما جاء الإسلام أصبح يتعامل مع الداخلين إليه معاملة المولود الجديد إذ يحتاج الى مزيد من العناية

والرعاية والاهتمام في غرس بذرة الإيمان في قلبه أولاً ، ثم تكليفه بالواجبات الشرعيـــة ثانياً.

ويعد التدرج في التعليم من أسس التنشئة الصحيحة ،والتربية السليمة إذ لا يكلف المرء ما لا يطيق أو يشدد عليه ولا أن يكثر على مسامعه بالأوامر والنواهي دفعة واحدة فلا تكون للنفس شهوة وإقبالٌ للتعلم وفي ضوء ذلك قال تعالى : ((لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها)) .(١٢) لأن تكليف الإنسان بما لا يطيق أو عدم التدرج في تربيته وتعليمه قد يكون عاملاً في بغضه العلم ، أو تهاونه في تعلمه ، أو نفوره عن قبول أوامره. فعلى المربي الناجح مراعاة قابلية الفرد الذهنية ، وطبيعته الاجتماعية، وحالته النفسية ، فهذه من ضروريات العملية التربوية لأن هذا الأسلوب يثمر في النتائج المرجو تحقيقها من جانب ، ويصل بالمتعلمين الى الغاية من تطبيقها من جانب آخر . وذلك بخلق جيل واعٍ ومثقف وقادر على حمل الرسالة الى جهات متعددة من العالم والى شعوب مختلفة في ثقافاتها وعقائدها، فضلاً عن قدرة المعلم المسلم على نشر الإسلام بالحكمة والخبرة والتجربة .

لقد اعتمد الرسول ﷺ هذا الأسلوب التربوي لأنه شعر بمكنونات نفوس أصحابه وطبيعة أحوالهم واحتياجاتهم للعلم والمعرفة ، فقد أكد ابن مسعود (١٣) على أسلوب الرسول ﷺ في تعليمه الرعيل الأول من جيل الصحابة كان بالتدرج شيئاً فشيئاً مراعياً في ذلك ملكاتهم الفكرية والنفسية إذ قال :((إن رسول اللهﷺ كان يقرئهم العشر من الآيات فلا يجاوزنها الى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمهم القرآن والعمل جميعاً)) (١٤).

ويبدو أن الرسول ﷺ كان يريد في بادئ الأمر أن يشعرهم بعظمة القرآن حين قراءته ، ولذة مناجاة الله وحلاوته ، وخشوع القلب ورقته ، وبكاء العين من خشيته ، ثم بعد ذلك يتدرج في تعليمهم حفظ تلك الآيات وتدبرها وفهمها وتوظيف ما فيها من أوامر ونواه وتطبيقها حرفياً في المجتمع المسلم.

وكان رسول الله ﷺ يقول : ((إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم)).(١٥) ، أي أنه كان يراعي المستوى الفكري لكل إنسان فيخاطبه على وفق المعطيات والقابليات التي يتمتع بها وبذلك فهو يتدرج في تعليمه لكسبه الى الإسلام من دون خوف أوتردد أو تذمر أو نفور . ولأهمية هذا الموضوع قال عليه الصلاة والسلام: ((ما حدّث أحدٌ قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلاّ كان فتنة عليهم)). (١٦) ، لأنه من الحكمة في الدعوة والتعليم ألاّ تطرح على المتعلمين ما لا يمكنهم إداركه وفهمه ، بل عليك طرح المعلومات البسيطة السلسة رويداً رويداً حتى تستقر في عقولهم ، وتطمئن قلوبهم ، ولا يفتنوا بما جهلوا فينفروا ، ولا يكرهوا ما لا يعرفوا فيسأموا. ومن هنا كان التدرج في عملية التربية والتعليم مسلكاً نبوياً حكيماً كانت له آثارٌ نافعة ومجدية وفعالة ، فقد حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على التأصيل لهذا المنهج في المجتمع من خلال تعليم المسلمين تدريجياً الأهم ثم المهم من العلوم بالحب والإقبال عليها دون ضغط أو إكراه وفي السُنة نجد الكثير من تلك الشواهد التاريخية التي تؤيد ما بيناه من رأي في هذه المسألة الحيوية فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لما بعث رسول اللهﷺ معاذاً (١٧) إلى اليمن قال له: (إنَّك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وإني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإيَّاك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينـــها وبين الله حجاب).(١٨) ، وعن هذا الأمر يقول أحد الصحابة (١٩) موضحاً أثر هذه الطريقة في التعليم أنها كان تحبب الناس الى الإسلام وتزيد في نسبة الداخلين إليه : (لقد أحسن الله إلينا كل الإحسان ، كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة ، لثقلت هذه التكاليف علينا ، فما كنا ندخل في الإسلام ، ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الإيمان قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى أن تم الدين وكملت الشريعة) (٢٠) .

لقد كان النبي ﷺ يُجِيب المسلمَ الجديد بما يقتَضِيه الحالُ ، فأهم خطوة في الدعوة هي كسبه الى الدين الإسلامي ، وبعد أن يرى إقبالاً منه وترحيباً فيه ، تأتي الخطوة الثانية إذ يملي عليه بعض الواجبات الأساسية ، إذ لا يُمكِن بيانُ الشريعة دفعةً واحدةً، ولا سيَّما لحديثِ عهدٍ بالإسلام ، وهذا ما يجبُ أنْ ينهَجَه الداعية اليوم مع المسلم الجديد. ومن الشَّواهِد التاريخية على عناية النبيِّ ﷺ بالتدرُّج مع المسلم الجديد أنَّ أعرابيًّاً أتَى النبيَّ ﷺ فقال: دُلَّني على عملٍ إذا عملتُه، دخلتُ الجنة؟ قال: تعبُد الله ولا تُشرِك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتُؤدِّي الزكاة المفروضة، وتَصُوم رمضان ، قال: والذي نفسي بيده، لا أَزِيد على هذا، فلمَّا ولَّى قال النبيُّ ﷺ : من سرَّه أنْ يَنظُر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة، فليَنظُر إلــى هذا (٢١).

من الجدير بالذكر أن هذه الطريقة من التعليم نجحت بشكل منقطع النظير إذ اتسعت رقعة الإسلام بين الداخلين إليه من قبائل الجزيرة العربية سواءً كانوا أفراداً أم جماعات ويؤيد رأينا هذا ما ذكره ابن علان نقلاً عن الطبراني في هذا الباب : (هذا الحديث ونحوُه خُوطِب به أعرابٌ حديثو عهدٍ بالإسلام، فاكتَفَى منهم بفِعل الواجب في ذلك الحال، لئلاَّ يثقل ذلك عليهم فيملُّوا، حتى إذا انشَرحَتْ صدورُهم للفهم عنه، والحرص على تحصيل ثواب المندوبات، سهلَتْ عليهم) (٢٢).

ويقول النووي : (وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج، فمتى يُسِّرَ على الداخل في الطاعة أو المُرِيد للدخول فيها، سَهلتْ عليه، وكانت عاقبته غالباً التزايُد منها، ومتى عسرت عليه أوشَك ألاَّ يدخل فيها، وإنْ دخَل أوشَكَ ألاَّ يدوم أو لا يستَحلِيها) .(٢٣) ، وكان عليه الصلاة والسلام ينتهج الأسلوب الأمثل الممزوج بالحكمة والموعظة الحسنة والمنطق السليم بالتبشير وليس بالتنفير بعيداً عن الزجر والتوبيخ فكان يلجأ في بعض الأحيان الى مخاطبة

العقول بالأمور الحساسة المؤثرة في النفس الذي تقتضيه أحوال المتعلمين وما قصة ذلك الفتى الذي دخل على النبي يطلب الأذن بالزنا فقال له النبي عليه الصلاة والسلام :

((أتحبه لأمك ؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، أفتحبه لأبنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك ، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم ، أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم ...)). (٢٤) ، وهكذا بدأ النبي تدريجياً يوضح لذلك الشاب مقت الناس لهذه الفاحشة وأنهم لا يرضونها لأعراضهم ، فاستأصل النبي من قلب الفتى حبه للزنى عن طريق المحادثة اللطيفة والمحاكمة النفسية والموازنة العقلية ثم دعا النبي عليه الصلاة والسلام له بالمغفرة والثبات على الإيمان فقال :

(اللهم اغفر له ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن الشاب بعد ذلك يلتفت الى شيء).(٢٥)

بالحقيقة إن منهج التدرج في التعليم استقطب الناس الى قبول الإسلام بفرائضه وأحكامه وأوامره ونواهيه ، حتى تشربت تعاليمه وآدابه في نفوسهم ، ودخلوا فيه أفواجاً وجماعات وأصبحوا لا يحيدون عنه ، ولا يبدلونه ، ويفتخرون به ، ويذودون عنه بالغالي والنفيس.

دور الصحابة في تطبيق منهج التدرج في العملية التربوية :

لقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على منهج الرسولﷺ في تعليم الناس أمور دينهم مراعين في ذلك قابليتهم الذهنية والعمرية ، سالكين طريق المعرفة بالرفق واللين وعدم التشدد بالمتعلمين فتبنوا مسألة التدرج في العلوم طريقاً وأساساً في العملية التعليمية بتلقين المسلمين الأهم ثم المهم وجسدوا التطبيق مع الواقع فاستلهموا من عبق السيرة سمات المربين الفضلاء والمعلمين العقلاء ومن وصية ابن عباس ﷺ للصحابة الذين جندوا أنفسهم لخدمة المسيرة

العلمية في صدر الإسلام قال : (كونوا ربانيين) . (٢٦) ، أي علماء حلماء فقهاء .(٢٧) ويقال : الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره . (٢٨) ، ويبدو أن المراد بصغار العلم ما وضح من مسائله ، وبكباره مادق منها دون غموض أو تعتيم فهو يعلمهم جزئياته قبل كلياته ، وفروعه قبل أصوله ، ومقدماته قبل مقاصده . ويعلق ابن حجر العسقلاني على ذلك بقوله : (أي يكون البدء بالسهل الواضح الخفيف على النفس ، قبل الصعب الثقيل الغامض ، لأن النفس للذي تعلمه وتفهمه وتقدر عليه ، ثم بالتدرج تألف وترغب في المزيد).(٢٩) إذ يصور لنا أحد الصحابة أن هذا الأسلوب كان ناجحاً في إقبالهم على العلوم الشرعية بكل حب ورغبة من دون ملل وسآمة لذلك أصبحوا مشاعل وضاءة في المسيرة العلمية لهذه الأمة ينيرون الدرب للأجيال بفكرهم النير وتراثهم القيم . فقد أكد أبو عبد الرحمن السلمي (٣٠) أصالة تلك الطريقة في التعليم فقال: (إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبروا أنهم إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهنّ الى العشر الأخر حتى يعلموا مافيهنّ ، فكنا نتعلم القرآن والعمل به) . (٣١) ، وكان أبو عبد الرحمن يسير على هذه الطريقة في التعليم فيقرئ تلاميذه عشرين آية بالغداة وعشرين بالعشي ، ويعلمهم أين الخمس والعشر.(٣٢) ، فهو يتدرج في تعليمهم حتى يتمكنوا من الفهم ثم الاستيعاب ثم الحفظ والثبات.

فهذا الإمام علي عليه السلام يوصي العلماء بمراعاة المستوى الفكري لطلبة العلم فيقول : (حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يُكذب الله ورسوله).(٣٣) ، فقد زجر الإمام علي عليه السلام عن رواية المنكر وحث على التحديث بالمشهور وهذا أصل كبير في الكف عن بث الأشياء الواهية والمنكرة من الأحاديث في الفضائل والعقائد والرقائق . (٣٤) وهذا الأمر من جوهر التدرج في التعليم وأساسياته، ويقصد أعطوهم من العلوم على قدر فهمهم وإدراكهم لكي يؤتي هذا التعليم ثماره ولا تذهب جهودكم سدى ، لأن إعطاء التلاميذ أكثر من علم دون فهم أو إحكام لن يتحقق معه الفائدة المرجوة من التعليم . فمن المؤكد أن طلبة العلم إذا سمعوا ما لم

تحط به عقولهم فسيبادرون الى تكذيبه ، وفي ضوء ذلك يجب إعطاء العلم لكل ما يليق بحاله ويوافق منزلته بعد حصول ما هو واجب من الفرائض العامة ، وعلى العالم أن يخص كل طالب بما هو مستعد له يعني بكماله وغيره.(٣٥)

وعلى المجمل فإن الصحابة عالجوا مشكلة الأمية في المجتمع بأسلوب التدرج بإعطاء المتعلمين الأهم من العلوم التي يحتاجها كل مسلم ولا سيما تلاوة القرآن وحفظ الحديث النبوي مع الأخذ بنظر الاعتبار قابلياتهم الفكرية وأحوالهم الاجتماعية . وعرّج ابن مسعود ﷺ على تلك الحقيقة فقال: (إن الرجل ليحدث الحديث فيسمعه من لا يبلغ عقله فَهمَ ذلك الحديث فيكون عليه فتنة).(٣٦) أي على المعلم مراعاة الفروق الفردية لكل إنسان من ناحية عقله وسنّه وقابليته للتعلم والتلقي . وفي ذلك يقول عبد الله بن عباسﷺ: (العلم أكثر من أن يحصى عن آخره ، فخذوا من كل شيء أحسنه).(٣٧) ويعني بذلك أن العلم له أبواب كثيرة وصنوف متعددة ومجالات واسعة ، فعلى المربي أن يكون نبهاً ومتيقظاً وفطناً لحال المتلقي وقدراته العقلية وأن يعطيه الأهم من العلوم ثم يتدرج في ما يهمه ويلزمه في حياته الدينية والدنيوية ولا يكثر عليه حتى لا يسأم ولا يمل ، ثم عليه أن يدرك ما تهواه نفسه وما يألفه طبعه وبذلك يكون التعليم قد حصد غايته وأهدافه.

وهذا عبد الله بن عمرﷺ يشيد بأسلوب النبي ﷺ في تلقينهم الإيمان وتلاوة القرآن وأحكامه بالتدريج فيقول: (لَقَد عشنا بُرهةً من دهرنا، وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها ، وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها، كما تعلمون أنتم اليوم القرآن، ثم لقد رأَيتُ اليوم رجالاً يؤتى أَحدهم القرآن قَبل الإيمان، فَيقرأ ما بين فَاتحتهِ إِلَى خاتمتِه ما يدري ما آمرُهُ ولا زاجرُهُ، ولا ما ينبغي أَن يقف عنده منه، فَينثرَهُ نثر الدقل).(٣٨) ، ويقصد بذلك أن تعلم الأساسيات ضروري في تنشئة الفرد تربوياً وثقافياً فعلى المربي أن ينتهج الأسلوب الأمثل من خلال التدرج في تعليمه بما يتوافق مع قابليته وعقله

ومزاجه فلا يأخذ من العلم ما لا ينفعه أو يوافقه من دون فهم أو إدراك فيصبح العلم وبالاً عليه فينفره ويضيعه .

وهذا مصداق لما قاله أحد الآباء لمؤدب أولاده يوصيه بالتدرج في تعليمهم : (لا تخرجهم من علم الى علم حتى يُحكموه ، فان اصطكاك العلم في السمع وازدحامه في العقل مُظلة للفهم) .(٣٩)

أثر العلماء المسلمين في تطبيق آلية التدرج في منهاج التعليم :

حرص العلماء المسلمون على وضع قواعد صحيحة وسليمة للعملية التربوية من خلال طرح الكثير من الآراء والنصائح للمعلمين والمربين للتدرج في منهاج التعليم لما له من أثر كبير على تقدم المستوى العلمي والفكري لدى الطلاب والتلاميذ من جانب، وعلى تطور وازدهار بلاد المسلمين ثقافياً وحضارياً من جانب آخر.

وكان الحسن البصري (٤٠) يشيد بجيل الصحابة الذين نذروا أنفسهم لتبليغ الرسالة وتحملوا المشاق والمصاعب حتى خلفوها فينا كالمحجة البيضاء، ويحث العلماء أن يتأسوا فيهم ويقتدوا بهم فيقول: (أُولَئك أَصحاب محمدﷺ كانوا أَبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ، وإقَامة دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فَإنهم كانوا وربِّ الْكعبة علَى الهدي المستقيم) .(٤١)

من الجدير بالذكر أن العلماء المسلمون الذي نشطوا في مجال التربية والتعليم اهتموا بتطوير الهرم التربوي من خلال التركيز على الطفل في سن مبكرة لغرس بذرة العلم في نفسه لأنه يكون أقدر على الحفظ والتلقي من الكبير فضلاً عن أن قلبه كصفحه بيضاء لم تتكدر بهموم الدنيا ومتاعبها .

في واقع الأمر أن الطفل يتلقى تربيته الأولى في محيط الأسرة من قبل والديه وذويه ، وتكون هذه التربية متدرجة منذ فطامه بتعلمه النطق ثم طريقة الأكل ثم بعد ذلك الصلاة وبذلك يتم

تطبيعه وتعليمه العادات والتقاليد والخبرات عن طريق التقليد والمحاكاة فيصبح في مرحلة نضج ثقافي نوعاً ما حتى يدخل الكتّاب وبذلك يكون مهيئاً لاكتساب العلوم العقلية والنقلية. لذلك ينبغي للمعلم أن يكون حكيماً يتصرف في طرق التعليم بحسب ما يراه موافقاً لاستعداد المتعلم في الجوانب الفكرية والجسدية والنفسية وإلاّ ضاع الوقت بقليل من الفائدة وربما لم توجد الفائدة أصلاً . وسوف نتطرق الى ذكر مجموعة من الشواهد التاريخية لأولئك العلماء الذين أصبحت آراءهم وأفكارهم منهاجاً ودعامة في التدرج بالتعليم عند المسلمين فاقت باقي الأمم والحضارات في المجال التربوي.

وكان الزهري (٤٢) وهو من أشهر العلماء الذين ساهموا في تطوير أسس التعليم في عهد الدولة الأموية حيث يرى أن تدريس العلوم يكون بالتدريج وعلى مراحل يراعى فيها قابلية التلاميذ على الحفظ وكفاءتهم في تلقي العلوم بحب وحسن استماع ، لأنه إذا لم يراعَ ذلك الجانب التربوي أعاق التعليم من جهة ، وأضر بالمتعلم من جهة أخرى وقد بلور عن ذلك الى أحد تلامذته فقال:

(لا تكابر العلم فان العلم أوديّة ، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ، ولكن خذه مع الأيام والليالي ، ولا تأخذ العلم جملة ، فان من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي).(٤٣)

إن هذه النصيحة تبرهن عن أن السياسة التعليمية التي كان يتبعها العلماء مع طلبة العلم تكتنفها الحكمة والخبرة مع مزيد من الحلم والأناة خوفاً وحرصاً بالمتعلمين حتى لا يسئموا من المناهج الدراسية التي تملى عليهم ، ولكي يؤدي العلم ثمرته بنشره وتبليغه الى الناس جميعاً دون أية معوقات. وكان الزهري يدعو معلم الكتّاب الى عدم التثقيل على التلميذ بالمواد حتى يستطيع استيعابها وحفظها فقد روي أنه عاتب يونس بن أبي النجاد(٤٤) لأنه حدّث أثناء غيابه فقال له : (يا يونس لا تكاثر العلم مُكاثرةً وخذه مع الأيام والليالي).(٤٥) ، أي لا يكون دفعة واحدة وإنما بالتدريج شيئاً فشيئاً حتى تتمكن من استيعابها وحفظها.

وكان المعلمون بصورة عامة يفضلون تدريس عدد قليل من الأحاديث في المجلس الواحد كي يستطيع من حضر من استيعابها ومن ثم فهمها وحفظها ، فمثلاً كان الطلبة يأتون أبا قلابة الجرمي(٤٦) فاذا حدّثهم بثلاث أحاديث قال قد أكثرت فيتوقف.(٤٧)

وروي أن عمر بن أبي سلمة (٤٨) عاتب معلمه الأوزاعي (٤٩) لأنه لم يسمع منه خلال أربعة أيام إلا ثلاثين حديثاً فقال الأوزاعي لتلميذه : (لقد سار جابر بن عبد الله (٥٠) الى مصر واشترى راحلة وركبها ليسأل عقبة بن عامر(٥١) عن حديث واحد ، فأخذه وانصرف الى المدينة ، وأنت مستقل ثلاثين حديثاً في أربعة أيام).(٥٢)

وأُثر عن سفيان الثوري (٥٣) أنه قال:(كنت آتي الأعمش(٥٤) و منصوراً (٥٥) فأسمع أربعة أحاديث أو خمسة ثم انصرف كراهية أن تكثر وتفلت).(٥٦)

بالحقيقة إن هدف المعلمين من التدرج بالتعليم لتعويد الطالب على الصبر والمثابرة وتحصيل العلوم بالتأني وبذل الجهد كي يعرف قيمة العلم فلا يفرط فيه، ويحرص على طلب العلم ويعيه ، ويعض عليه بالنواجذ. ويبدو أن هذا الأسلوب من التعليم جاء نتيجة إلقاء المحاضرات على الطلاب شفوياً فيسمعونها ويحفظونها عن ظهر قلب دون كتابتها استمراراً لما كان قائماً زمن الرسول ﷺالذي لم يسمح بكتابة شيء عدا القرآن ، إلا أن هذا الأمر تغير مع مرور الوقت وتطور الزمن لاسيما بعد أن انتشر الإسلام في أقاليم واسعة من العالم ، ودخول العديد من الأقوام فيه ، وإطلاع المسلمين على حضارات الأمم المجاورة ، وظهور عملية التأليف والترجمة ، وانتشار صناعة الورق ومستلزمات الكتابة في أرجاء الدولة الإسلامية ، كان من العوامل التي شجعت الدولة على التعليم ونشر العلوم في أرجاء الأمة الإسلامية ، إذ أخذ الطلاب يدونون ما يتلقونه من علوم كي يسهل عليهم حفظها والرجوع إليها.

ونظراً لأهمية أسلوب التدرج في التعليم فقد حرص العلماء على مراعاة قابلية المتعلمين الفكرية والنفسية وما يتمتع به من ملكة الحفظ والذكاء والفطنة فقد أُثر عن سفيان بن عيينة(٥٧) قوله: (أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر ، فإذا استمع العبد الى كتاب الله

تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بنية صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يجب وجعل له في قلبه نوراً).(٥٨) ، لقد أوضح العلماء أن تحصيل العلم لا يتم إلاّ بحسن الاستماع والمثابرة والمذاكرة وفي ذلك يوضح الشافعي (٥٩) أن من شروط تحصيل العلم أن يكون على التدريج والتأني في تلقيه واستلهامه وحفظه فقال: (٦٠)

أخـي لـن تنال العلـــم إلاّ بستـــةٍ سأنبيك عـن تفصيلها ببيــانِ
ذكاءٌ ، وحرصٌ ، واجتهادٌ وبلغةٌ وصحبة أستاذٍ، وطول زمانِ

لقد أكد ابن سحنون (٦١) أن من آداب المعلمين في تعليم الصبي التدرج في العلوم لأنه مفيدٌ جداً لعقلية التلاميذ وتفوقهم فكرياً وتطورهم علمياً وثقافياً فقال: (لا يجوز للمعلم أن ينقل التلاميذ من سورة الى سورة حتى يحفظونها بإعرابها وكتابتها ، إلاّ أن يسهل لهم الآباء ذلك).(٦٢)

وهنا يبين ابن سحنون للمعلم أهمية التدرج في التعليم بأن إعطاء التلميذ السورة من القرآن ليتدبرها ويعقل ما فيها من أحكام ثم يحفظها بمعانيها ، أفضل من الانتقال به الى سورة أخرى ، و لا يجيز خلاف ذلك لأنه قد يؤثر في قابليته للحفظ و حبه للتعلم فضلاً عن ذلك لا يكتشف بتلك الطريقة مواهبه الحقيقية في التحليل والاستنتاج ، وإن كان فلا بد أن يتم بمشورة ، أي بعد أخذ الأذن من آبائهم ، بشرط أن التلاميذ قد تمكنوا من حفظ الدروس السابقة واستيعابها ، بعد اختبارهم وظهور كفاءتهم بذلك.

ويفيد القابسي (٦٣) أن مواد التعليم يجب أن تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثقافة العصر ومتطلباته وترتبط أيضاً بقدرة المتعلم على الفهم والاستيعاب ،إذ أن التدرج في التعليم ضروري لكي يستلهم المعلم ببصيرته ما ينفع الطلاب من علوم من جهة ، ويتوقف على كفاءتهم وملكتهم فلا ينقلهم من موضوع لآخر إلاّ بعد أن يستوعبوه بشكل جيد من جهة أخرى إذ قال: (من الاجتهاد للصبي ألاّ ينقله المعلم من سورة حتى يحفظها بإعرابها وكتابتها).(٦٤) وهنا يتفق القابسي مع ابن سحنون أن التدرج في تبليغ العلوم مفيد للطلاب ، وقد طبقوه على تعليم القرآن في الكتاب ، فلم يسمحوا للمعلم نقل التلاميذ من سورة الى أخرى حتى تترسخ في نفوسهم

رسوخاً كاملاً، فلا ينسوها بسرعة على مر الأيام ، فحفظ السورة بإعرابها دليل على معرفة مواقع الكلم وارتباط بعضها ببعض ، ثم إن كتابة هذه السورة بآياتها تركز في الذاكرة شكل كل كلمة من هذه الكلمات ، مما يسهل استرجاعها بأقل ما يمكن من الخطأ.

نستشف من خلال ذلك أن المعلم نتيجة احتكاكه مع التلاميذ تكون له خبرة ودراية واسعة بهم وبقدراتهم وكفاءتهم العلمية من ناحية الفهم والحفظ والاستيعاب ويوضح لنا الفيلسوف ابن سينا ذلك بلغة علمية تحليلية أصيلة بقوله : (ليس كل صناعة يرومها الصبي له ممكنة مواتية ، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ، وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة إذن ما كان أحد غفلاً من الآداب وعارياً من صناعة ، وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات ، وربما نافر طباع الإنسان جميع الآداب والصناعات ، فلم يعلق منها بشيء.. ولذلك ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولاً طبع الصبي ، ويسير قريحته ، ويختبر ذكاؤه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك ، فإن اختار له إحدى الصناعات تعرف قدر ميله إليها ، وهل أدواته وآلاته مساعدة له عليها أم خاذلة). (٦٥)

من الجدير بالذكر أن قراءتنا لهذا النص يبين لنا أن كل تلميذ له قابلية وملكة تتفاوت من شخص لآخر لذلك يعد التدرج في التعليم طريقة مجدية ونافعة في اكتشاف الخبرات والكفاءات عند كل واحد منهم . وفي ذلك يقول الماوردي : (ينبغي أن يكون للمعلم فراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف مبلغ طاقته وقدر استحقاقه ليعطيه ما يتحمله بذكائه ، أو يضعف عنه ببلادته ، فأنه أروح للعالم وأنجح للمتعلم).(٦٦) ، وأكد في موضع آخر ضرورة التدرج في تعليم التلاميذ أي تقديم المواد بشكل يتناسب وقدرات المتعلم فيقول: (واعلم أن للعلوم أوائل تؤدي الى أواخرها ، ومداخل تفضي الى حقائقها ، وليبتدئ طالب العلم بأوائلها ، لينتهي الى أواخرها ، وبمداخلها ليفضي الى حقائقها ، ولا يطلب الآخر قبل الأول ، ولا الحقيقة قبل المدخل ، فلا يدرك الآخر ، ولا يعرف الحقيقة ، لأن البناء على غير أساس لا يُبنى ، والثمر من غير غرس لا يُجنى) . (٦٧)

لذلك نصح العلماء مؤدب التلاميذ أن يتدرج معهم حرصاً على مصلحتهم فقيل : (فلا تأخذ لنفسك ما لا طاقة لك به ، بل اقتصر على اليسير الذي تضبطه وتحكم حفظه وإتقانه).(٦٨)

فمن البديهي أن واجب المعلم يتطلب منه تشخيص طبيعة المبتدئ- أي طالب العلم- من الذكاء والغباوة ويعلمه على مقدار وسعه ، ولا يكلف الزيادة عن مقداره ، فانه إذا كلف يئس عن تحصيل العلم، ويتبع الهوى ويشكل تعليمه.(٦٩) وذلك بسبب ما يطرح عليه من المواد المختلفة دون معرفة قابليته للفهم والتلقي مما يؤثر سلباً على تعليمه.

إن العلماء المسلمين ركزوا على هذا الجانب في العملية التربوية وذلك للمنافع الكثيرة المترتبة من خلال ذلك ومن بين هؤلاء المربين الإمام الغزالي - الذي فطن الى دراسة نفسية المتعلم ، ودراسة خصائصه الفكرية - وإلى أهمية مراعاة الفروق الفردية للتلاميذ ، وأخذ بتوجيه نصائحه للمعلمين للالتزام بهذه الأمور المهمة التي يجب اتباعها مع المتعلمين رفقاً بهم من الملل والضجر فقال: (أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله ، اقتداء بسيد البشر حيث قال: نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ، ونكلمهم على قدر عقولهم . لذلك عليه أن يقدم له العلوم التي تناسب سنه ولا يذكر له وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق) .(٧٠) ، وهنا يحث المعلمين بإعطاء التلميذ من العلوم ما يتناسب وعمره وقابليته الذهنية ، وكذلك أن يعطيه الأفضل منها.

والظاهر أن العلماء تنبهوا الى هذه المسألة في مراعاة قابلية التلميذ للفهم والاستيعاب لذلك دأبوا بإعطاء التلاميذ ولاسيما الأطفال منهم العلوم المهمة كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ثم يتدرجون بعد ذلك بإعطائه باقي العلوم الأخرى .

فقد أشاد الله تعالى بالمؤمنين فقال:((فبشر عباد .الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)).(٧١) ، وهنا أراد الله سبحانه لعباده أن يكونوا نقاداً

في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل ، فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب.(٧٢)

وقال بعض الشعراء يحث المتعلمين بأخذ ما ينفعهم من العلوم الشرعية وتدوينها ، لأن تعلم ما ينفع الناس سيبقى على مر الزمان ذخيرة للأجيال : (٧٣)

وما مـن كاتب إلا ستبـقى كتابتـــه وإن فنيت يـداه

فلا تكتب بكفك غير شيءٍ يسرك فـي القيامة أن تراه

وركز ابن القيم الجوزية على ضرورة دراسة نفسية المتعلم وقابليته للحفظ والتلقي وإلاّ فعلى المربي أن لا يقصره على شيء لا يحبه لأنه قد يؤول به الى نتائج سلبية لا يرضاها فيقول: (ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها ، فيعلم أنه مخلوق له فلا يحمله على غيره ما كان مأذوناً فيه شرعاً ، فإن حمل على غير ما هو مستعد له، لم يفلح فيه وفاته ما هو مهيأ له ، فإذا رآه حسن الفهم ، صحيح الإدراك ، جيد الحفظ واعياً ، فهذه علامات قبوله وتهيؤه للعلم ، لينقشه في لوح قلبه ما دام خالياً ، فإنه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه ، وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه ، وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح ، وأنه لا نفاد له من العلم ولم يخلق له ، ومكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها، فإنه أنفع له وللمسلمين . وإن رآه بخلاف ذلك ، وإن لم يخلق لذلك ، ورأى عينه مفتحة لصنعة من الصنائع مستعداً لها ، قابلاً لها ، وهي صناعة مباحة نافعة للناس فليمكنه منها، وهذا كله بعد تعليمه ما يحتاج إليه في دينه).(٧٤)

وأشار ابن خلدون الى هذه الطريقة أيضاً التي تركز على التدرج والتتابع في إعطاء المعلومات لطالب العلم وشجع المعلمين على الأخذ بها وأن لا يدمجوا علمين إلاّ أن يكون المتعلم موافقاً برأيه معروفاً بجودة الفهم والذكاء فقال: (اعلم إن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً، يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب إليه في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة

عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة وغايتها أنها هيأة لفهم الفن وتحصيل مسائله).(٧٥) ، فضلاً عن ذلك أوصى المعلمين في التأني والهوادة مع تلاميذهم في تسهيل حفظهم للعلوم فقال : (ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالطة ذلك الفن وتكرارها عليه، والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه وإنما أتى ذلك من سوء التعليم).(٧٦)، وهنا يشيد هذا المفكر الاجتماعي على يد المعلم في مراعاة قابلية الإدراك والفهم عند التلميذ في تسهيل مهمته في الحفظ والاستيعاب ، فهو يضع الحلول الصحيحة في سير العملية التربوية بنجاح من خلال دراسة نفسية التلميذ فيما يحب من الدروس فضلاً عن قابليته الذهنية وبذلك فهو يعالج أسباب تلكؤ التلاميذ فكرياً وتراجع مستواهم علمياً . لأن الوقوف على جوهر تلك الأسباب يقودنا الى النتائج المرضية للتقدم العلمي لأبنائنا وما يعانونه من ملل وصعوبة في التعليم بل الرفض أحياناً وهذا من مهمات التنشئة السليمة للمجتمع في الوقت الحاضر.

إن تحديد آلية العمل التربوي في تعليم الأبناء في سن مبكر يجنبنا الكثير من الأخطاء والمتاعب التي قد نواجهها في تعليمهم في المستقبل ولاسيما ما يتعلق بالفهم والاستيعاب ، وكفاءة المعلم في توصيل المادة العلمية للطلبة له الأثر الأكبر في إقبال الطلاب لأخذ العلوم من ناحية، وحبهم للتعليم من ناحية أخرى، إذ أن هذا العامل له نتائجه الإيجابية في تقدم المجتمع وتطوره.

لهذا كانت مهمة التعليم كبيرة ومقدسة ، لذلك توجب على من نصب نفسه لهذه المهمة أن يكون أميناً وجديراً بها من خلال المتابعة والمذاكرة وتحصيل الثقافة المتنوعة ليكون أهلاً للتعليم بما في ذلك دراسة علم نفس الطفل كي يتمكن من الوقوف على جميع المشكلات التي تعوق العملية التربوية.

وفي ذلك يقول أحد الحكماء: (من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما عُلِّم واستفاد ما لم يعلم).(٧٧) ويقصد أنه ليست الغاية فقط بإعطاء التلميذ الكثير من العلوم وعلى اختلاف مواردها، بل أن يعطى بعض العلوم فيذاكرها ويسترجعها في ذهنه فتحصل له الفائدة بفهمها وحفظها وتبلغ الملكة غايتها. لذلك قال الشاعر وهو يحث طالب العلم على المذاكرة والمطالعة حتى يستفيد مما يسمع ويحفظ ما يقرأ: (٧٨)

إذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمــهِ ولم يَستفد علماً نسيَ ما تعلما
فكم جامعٍ للعلم من كل مذهبٍ يزيد مع الأيام في جمعهِ عمى

وقال آخر مؤكداً المعنى نفسه في حصول طالب العلم على الملكة من مذاكرة العلوم وحفظها حتى تصبح عنده ذخيرة من الثقافة التي تدفعه إلى تطوير نفسه فكرياً وعلمياً :(٧٩)

يا طالباً للعلم كي تحظى بـــهِ ديناً ودنياً حظوة تعليمــهِ
اسمعه ثم أحفظه ثم اعمل بــهِ لله ثم انشره في أهليـــهِ

وعن أهمية التدرج في التعليم في المنهاج التربوي من أجل أن يكون طالب العلم عنده القدرة على الإستعياب والحفظ وتصبح لديه ملكة في الإسترسال والطرح والتمكين في اختصاصه العلمي نورد تلك الرواية لما فيها من شاهد تاريخي يؤيد ما طرح من فكرة في هذا المجال لأنه يعطي المتعلم فرصة وفسحة لاختيار ما يناسبه من العلوم ليبرع فيها . فقد روى القاضي أبو يوسف (٨٠) عن شيخه أبي حنيفة النعمان(٨١) قال : سئل أبو حنيفة كيف وفقت الى الفقه؟ فقال :أخبرك . أما التوفيق فكان من الله ، وله الحمد كما هو أهله ومستحقة ، إني لمّا أردت تعلم العلم جعلت العلوم كلها نصب عيني ، فقرأت فناً فناً منها ، وتفكرت عاقبته وموضع نفعه، فقلت آخذ في الكلام ثم نظرت ،فإذا عاقبته عاقبة سوء ونفعه قليل ... ثم تتبعت أمر الأدب والنحو ، فإذا عاقبة أمره أن أجلس مع صبي أعلمه النحو والأدب ، ثم تتبعت أمر الشعر ، فوجدت عاقبة أمره المدح والهجاء ، وقولي الكذب وتمزيق الدين ، ثم تفكرت في أمر القراءات ، فقلت إذا بلغت الغاية منه أجتمع الى أحداث يقرؤون عليّ، والكلام في القرآن ومعانيه صعبٌ، فقلت : أطلب الحديث، فقلت : إذا جمعت منه الكثر أحتاج الى عمر طويل حتى يحتاج الناس

إليّ، وإذا أحتيج إليّ لا يجتمع إلاّ الأحداث ولعلهم يرموني بالكذب وسوء الحفظ فيلزمني ذلك الى يوم الدين. ثم قلبت الفقه، فكلما قلبته وأدرته لم يزدد إلاّ جلالةً ، ولم أجد فيه عيباً ، ورأيت الجلوس مع العلماء والفقهاء والمشايخ والبصراء والتخلق بأخلاقهم ، ورأيت أنه لا يستقيم أداء الفرائض وإقامة الدين والتعبد إلاّ بمعرفته ، وطلب الدنيا والآخرة إلاّ به). (٨٢)

إن هذه الرواية توضح للمهتمين في العلوم التربوية جانبين مهمين الأول : هو أن طالب العلم عليه أن ينظر في العلوم ثم يأخذ منها ما يحبه قلبه ويألفه عقله وله رغبة في تعلمه لكي يبدع فيه.

أما الثاني : فإن طالب العلم عليه أن ألاّ ينظر في العلوم دون الاستفادة منها واكتساب الخبرة فيها على وفق قدراته وقابلياته على الحفظ والتلقي ، وهذا الجانب يشير الى أثر التدرج في قراءة العلوم واستيعابها.

من الجدير بالذكر أن علماء الاجتماع والتربية قدموا النصح للمعلمين في هذا المجال ، وذلك أن يكون التعليم لما يشاكل التلميذ ويوافق طبعه ومزاجه ، بل أن منهم من يطالب المعلم بمعرفة مقياس ذكاء المتعلم حتى يفصل تعليمه بالشكل الذي يناسب مستواه الثقافي . فمن اختبارات ذكاء المتعلم : أن يعطى عملاً معيناً لأجرائه يتطلب هذا العمل ممارسة بعض الوظائف العقلية، ثم تسجل النتائج وتقارن بعمل غيره من المتحدين معه في العمر والموجودين تحت الشروط نفسها.(٨٣)

نستنتج مما تقدم أن هذا الموضوع مهم جداً في تدريس المناهج العلمية لاسيما وان هناك فروقا فردية واضحة عند كل تلميذ ، تعبر عن قدرته على الاستيعاب والفهم وكذلك الحفظ ، لذلك يتطلب من المهتمين بالجانب العلمي التوقف عندها ودراستها ومعالجة المشاكل التي تعرقل مسيرتها فيما يصب ذلك في مصلحة المعلم والتلميذ معاً. والتوصل الى الطرق العلمية الناجحة في تدريس المناهج، علماً أن اختلاف طريقة التعليم لا يلغي ذاتية المتعلم ، فمن المتعلمين من يكون اقرب للتصور لأن استعداده أقوى ، فان كان ذلك مستعداً للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد القوي حدساً ، فالحدس هو سرعة انتقال الذهن من المبادئ الى المطالب وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج فيه أن يتصل بالعقل الفعال

الى كبير شيء والى تخريج وتعليم بل إنه يعرف كل شيء من نفسه... والأطفال في زمن الصبا يحفظون جيداً لأن نفوسهم غير مشغولة ، بل تشغل به نفوس البالغين فلا تذهب عما هي عليه بغيره ، ولا تكون ذاكرتهم كذاكرة الشباب لذلك فان التعلم في الصبا هو أجدى، وآثاره أبقى وأقوى.(٨٤) ، إن هذه التوجيهات العلمية لعلمائنا الأوائل، لا تبعد كثيراً عن سيكلوجية الإرشاد الدراسي والتوجيه المهني المطبقة في عصرنا الحاضر ، ولم تك هذه التوجيهات مجرد تعليمات أو تقريرات نظرية لم يكن لها نصيب من الممارسة العملية ، بل وجدت لها حيزاً من التطبيق على الواقع التربوي في التوسم في الطلاب فيمن يصلح منهم ومن يكون له مسقبل زاهر في مجال العلم والتقدم والمعرفة .

نستشف من خلال ما ذكرناه أن هذا الأسلوب التربوي في التدرج بالتعليم لا يعني تسطيح التعليم وتفريغ العلم من مضامينه ومحتوياته ، ولا يعني ذلك تقديم تربية سهلة أو رخوة لا تثير فكراً ولا تشحذ همةً ، ولا تربي عزيمةً ، ولا تصقل إنساناً ، وإنما كانت تجربة تربوية فريدة ، مبنية على أسس علمية في دراسة نفسية المتعلم وقابليته للحفظ والتلقي ، وإن هذه التجربة كانت وما تزال من الأساليب الناجحة التي آتت ثمارها في تقدم المستوى العلمي للطلاب في ذلك الوقت ، وهكذا استطاع هذا الجيل أن يثري الحضارة العربية الإسلامية بالآراء والأفكار التي مازالت تدرس في المدارس والجامعات والى يومنا هذا.

تعليقات البحث وهوامشه

١- محمود قمبر : دراسات تراثية ، ص٣٨٦.

٢- سورة العلق، الآيات ١-٥.

٣- سورة القيامة ،الآيات ١٦-١٩.

٤- عبد الهادي الفضلي: القراءات القرآنية،ص.١٥

٥- سورة طه ، الآية ١١٤.

٦- ابن أبي زمنين : تفسير القرآن ، ١٣٠/٣؛ الثعلبي:الكشف والبيان ،٢٦٢/٦؛الواحدي: الوجيز ،٧٠٦/١.

٧- الكيرانوي: إظهار الحق ،٨٢٥/٣.

٨- سورة البقرة ،الآية ٢١٩.

٩- سورة النساء ،الآية ٤٣.

١٠- سورة المائدة ،الآية.٩٠

١١- عبد الرزاق: المصنف ،٣٥٢/٣؛ البخاري: الصحيح ،١٨٥/٦؛ النسائي: السنن الكبرى ،٢٤٦/٧؛ البيهقي: شعب الإيمان ،٧/٤.

١٢- سورة البقرة ، الآية.٢٨٦

١٣- هو عبد الله بن مسعود بن غافل ابن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن تميم بن سعد بن هذيل ، حليف بني زهرة ، من السابقين الى الإسلام ، كان يعرف بصاحب السواد والسواك ، شهد بدراً والحديبية ، وهاجر الهجرتين ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، توفي بالمدينة عام ٣٢هـ ودفن بالبقيع وصلى عليه الخليفة عثمان ﷺ . ابن عبد البر: الإستيعاب،٥٩٢/١؛ اليافعي: مرآة الجنان،٧٤/١؛ابن العماد: الشذرات ،٣٨/١.

١٤- السمعاني: أدب الإملاء،ص٦٠؛ الغزالي: قواعد العقائد، ١١٣/١؛ الذهبي: معرفة القراء ،٥٦/١ ؛ البيروتي : أسنى المطالب،٧٣/١.

١٥- الغزالي: قواعد العقائد ،١١٣/١؛ ابن حجر: لسان الميزان ،٢٧٤/٦؛السخاوي: المقاصد الحسنة ، ١٦٤/١؛ المتقي الهندي: كنز العمال ،١٠٥/١٠؛ أنس كرزون : صحابة رسول الله، ص.٩٤

١٦- ابن عبد البر: جامع بيان العلم ،١٣٤/١؛الغزالي: الإحياء ،٩٩/١وقواعد العقائد ،١١٣/١؛ ابن مفلح: الآداب الشرعية ،٨٩/٢؛ العراقي:المغني عن حمل الأسفار، ٦٢/١.

١٧- هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن الخزرج الأنصاري ، شهد العقبة الثانية ، وبدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول اللهﷺ ، روى عن رسول الله وروى عنه ابن عمر وابن عباس وجابر وأنس، توفي بطاعون عمواس في الشام عام ١٨هـ. ابن الأثير: اللباب ،٤٠٣/٢؛اليافعي: مرآة الجنان ،٦٣/١؛ الذهبي: العبر،٢٤/١؛ ابن العماد: الشذرات ،١/.٢٩

١٨- مسلم :الصحيح ،٥٠/١؛أبو داود: السنن ،١٠٤/٢؛ ابن ماجة : السنن ،١/.٢٦٨

١٩- لم تتوقف المصادر على ذكر ترجمة له.

٢٠- الرازي: التفسير الكبير ، ٥٠/٩؛ النيسابوري: غرائب القرآن ،٢٩٢/٢؛ الكيرانوي: المصدر السابق ،٣/.٨٢٥

٢١- البخاري: الصحيح ،١٠٥/٢؛مسلم: الصحيح ٣٩/٢؛ابن ماجة: السنن،١/.٢٥

٢٢- للمزيد ينظر دليل الفالحين ،٧/.١٤

٢٣- ينظر المنهاج ،١٢/.٤١

٢٤- ابن حنبل: المسند ،٢٥٦/٥؛ ابن كثير: جامع المسانيد ،٥٣٠/٨؛ السيوطي: الخصائص الكبرى ،٢/.٢٨٤

٢٥- ابن حنبل : المصدر نفسه ،٥/.٢٥٦

٢٦- البخاري: الصحيح ، ٢٠/١؛ البغوي: شرح السنة ،١/.٣٨٣

٢٧- البغوي: المصدر نفسه ، ٢٨٣/١؛العيني: عمدة القاري،٢/.٤٣

٢٨- البخاري: المصدر السابق ،١/. ٢٠

٢٩- ينظر فتح الباري ،١/. ١٩٥

٣٠- هو عبد الله بن حبيب روى عن الإمام علي وعبد الله بن عمر وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وكان من القراء المشهورين وكان يعلم القرآن ولا يأخذ عليه أجراً ، وكان ثقة كثير الحديث توفي في الكوفة في خلافة عبد الملك بن مروان . ابن قتيبة : المعارف ، ص٢٩٤؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ،٢/. ٣٤٠

٣١- ابن سعد : الطبقات،٤/٤٠٢-٤٠٣؛ ابن حبيب: المحبر،ص.٤٧٥

٣٢- ابن مجاهد: السبعة في القراءات ،١/٦٩؛ الداني :البيان، ١/. ٣٣

٣٣- الغزالي : إحياء علوم الدين،١/٩٩؛ أبو شجاع: الفردوس بمأثور الخطاب، ١/٣٩٨؛ ابن حجر : لسان الميزان ، ٦/٢٧٤؛ السخاوي : المقاصد الحسنة، ص١٦٤؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ١٠/. ١٠٥

٣٤- الذهبي: تذكرة الحفاظ ،١/١٣؛ السمعوني: توجيه النظر ،١/٦٢

٣٥- للمزيد ينظر القاري : مرقاة المفاتيح ،١/. ٤٣٥

٣٦- البخاري: الصحيح، ج١ص٤٥؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج١ص١٣؛ ابن حجر: فتح الباري، ١/٢٢٥؛ البيروتي: أسنى المطالب، ١/٧٣؛الشربيني : مغني المحتاج، ١/٢٨٩.

٣٧- السمعاني: أدب الإملاء،ص٦٠؛ الغزالي: قواعد العقائد،١/١١٣؛ الوراني:المغني عن الحفظ ،١/٦٢؛ البيروتي : المصدر نفسه،١/٧٣.

٣٨- البيهقي: السنن الكبرى ،٣/١٢٠؛ الغزالي: الإحياء ،١/٢٧٥؛ الهيثمي:مجمع الزوائد ، ٧/. ١٦٥

٣٩- الدينوري: المجالسة وجواهر العلم ،١/٢٨٤؛ ابن الأزرق: بدائع السلك ،٢/. ٣٦٢

٤٠- هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري ، سيد التابعين وإمام أهل البصرة في زمانه ، وكان ورعاً تقياً زاهداً عابداً توفي عام ١١٠هـ. الذهبي: العبر،١/ ٧٦؛ ابن العماد: الشذرات ، ١٣٦/١

٤١- ابن عبد البر: جامع بيان العلم ،٩٤٦/٢؛ الآجري: الشريعة ،١٦٨٥/٤.

٤٢- هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الأصغر بن شهاب بن زهرة بن كلاب بن مرة ، كان من أكابر العلماء في المدينة توفي عام ١٢٤هـ. ابن سعد : المصدر السابق ،١٠٠/٤؛ الذهبي: العبر،٨٧/١؛ اليافعي : مرآة الزمان ،٢٠٤/١.

٤٣- ابن قتيبة : عيون الأخبار ،١٦٣/٣؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم،٨٢٥/١.

٤٤- هو أبو يزيد يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي القرشي، سمع الزهري والتابعين وروى عنهم ، وكان من العلماء العاملين توفي بمصر عام ٥٩هـ. ينظر البخاري: التاريخ الكبير، ٤٠٦/٨؛ السمعاني: الأنساب، ١٦٦/١؛ المزي : تهذيب الكمال، ٥٥١/٣٢.

٤٥- ابن عبد البر: المصدر السابق، ١٠٤/١؛ ابن الصلاح: الشذا الفياح، ٤١٥/١؛ ملكة ابيض: التربية والثقافة العربية،ص٢٩١.

٤٦- هو عبد الله بن زيد البصري من الفقهاء ذوي الألباب سمع أنس بن مالك ومالك بن الحويرث وعمرو بن سلمة توفي بالشام. البخاري: التاريخ الكبير، ٩٢/٥؛ مسلم : الكنى والأسماء، ٦٩٩/٢؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٥ص٥٧.

٤٧- الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، ٢٠٦/١؛ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ٣٠١/٢٨؛ مزيد: منهاج المحدثين ،٨٩/١؛ ملكة ابيض: المرجع السابق،ص٢٩١.

٤٨- هو أبو حفص عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسود بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي ، ولد في السنة الثانية من الهجرة،وكان ربيب النبي ﷺوشهد مع الإمام علي الجمل ، واستعمله على فارس والبحرين ، توفي في المدينة عام ٨٣هـ. ابن عبد البر: الإستيعاب ، ٨٤/٢؛ابن الأثير: أسد الغابة ،٦٧٨/٣؛ ابن حجر: الإصابة ،٥/٤.

٤٩- هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي كان رأساً في العلم والعمل كثي المناقب ، روى عنه الزهري وعطاء وكثير من التابعين توفي في الشام عام ١٥٧هـ. الذهبي : العبر ، ١١٨/١؛ اليافعي : المصدر السابق ،٢٥٩/١؛ ابن العماد : الشذرات ،٢٤١/١.

٥٠- هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي ، وكان من المكثرين للحديث الحافظين للسنن ، توفي في المدينة عام ٧٤هـ. ابن الأثير : أسد الغابة ،٣٥١/١؛ابن حجر : الإصابة ،٣١٩/١-٣٢٠.

٥١- هو أبو حماد عقبة بن عامر بن عدي بن عمرو بن رفاعة الجهني من كبار الصحابة ، روى عنه ابن عباس وأبو عباس وأبو أيوب وأبو أمامة وغيرهم، ولاه معاوية مصر وتوفي فيها عام ٥٨هـ. ابن سعد : المصدر السابق ،٤٨٠/٥؛ ابن الأثير : أسد الغابة ،٥٤٩/٣.

٥٢- الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث،١٢٦/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ٦٩/٤٦؛ ملكة أبيض: المرجع السابق، ص٢٩٢.

٥٣- هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري الكوفي سيد أهل زمانه علماً وعملاً وورعاً وزهداً، روى عنه عمرو بن مرة وسماك بن حرب وخلق كثير ، توفي عام ١٦١هـ. الذهبي : العبر ، ١٢١/١؛ اليافعي : المصدر السابق ،١٦٨/١؛ ابن العماد : المصدر السابق ،٢٥٠/١.

٥٤- هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي محدث الكوفة وعالمها ،كان ثقة عاملاً فاضلاً ، روي عن ابن أبي أوفى وأبي وائل والكبار ، توفي عام١٤٨هـ. الذهبي : العبر،١١٠/١؛ اليافعي : المصدر السابق ،٢٣٩/١.

٥٥- هو أبو عتاب منصور بن المعتمر السلمي كان ثقة مأموناً كثير الحديث ورفيعاً عالياً، توفي عام ١٣٢هـ. الذهبي : العبر،٩٥/١؛ ابن العماد : المصدر السابق ،١٨٩/١.

٥٦- ابن الصلاح : المصدر السابق ،٤١٥/١؛ السخاوي : فتح المغيث ،٣٨١/٢.

٥٧- هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي ، الإمام الكبير حافظ العصر روى عن التابعين ، توفي عام ١٩٨هـ. الفسوي: المصدر السابق ،٥٦/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ،٤٥٤/٨.

٥٨- القرطبي: الجامع ،١٧٦/١١.

٥٩- هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، يرجع نسبه الى النبي ﷺ ، كان فقيه عصره ، ووحيد دهره ، علماً في الفقه والحديث والشعر توفي عام ٢٠٤هـ. اليافعي: المصدر السابق ، ١٣/٢؛ ابن العماد: المصدر السابق ،٩/٢.

٦٠- ينظر الديوان ، ص٨١.

٦١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي ، فقيه مالكي كثير التصانيف من اهالي القيروان ، كان كريم اليد وجيها عند الملوك توفي عام ٢٥٦هـ. الذهبي : سير أعلام النبلاء،٦٠/١٣؛ الزركلي : الأعلام ،٤/٦.

٦٢- للمزيد ينظر آداب المعلمين ،ص١٠٦.

٦٣- هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري ، فقيه مالكي اشتهر بالورع والأمانة برواية الحديث وحفظه ، وكان ضريراً، توفي بالقيروان عام٤٠٣هـ. الذهبي: العبر،٤١٣/١؛ ابن العماد: المصدر السابق ،١٦٨/٣.

٦٤- الأهواني: التربية في الإسلام ،ص٣٧.

٦٥- ينظر كتاب السياسة ، ص١٠٤-١٠٥.

٦٦- للمزيد ينظر أدب الدنيا والدين، ص٥٨.

٦٧- المصدر نفسه،ص٣٣.

٦٨- السخاوي : فتح المغيث ،٣٨٢/٢.

٦٩- أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، ص٢٧٨.

٧٠- للمزيد ينظر إحياء علوم الدين،٨٠/١-٨١.

٧١- الجاحظ : البيان والتبيين،٢٠٩/١؛ المبرد : الكامل ،ص٤٥٤؛ الراغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء،٧٣/١؛ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ،٤٥/١.

٧٢- سورة الزمر،الآية١٨.

٧٣- الزمخشري: الكشاف ،١٢٢/٤.

٧٤- ابن عبد ربة : العقد الفريد ،٧١/٢.

٧٥- للمزيد ينظر تحفة المودود ،ص٤٥٦.

٧٦- ينظر المقدمة ،ص٥٥٢.

٧٧- ابن خلدون : المصدر نفسه، ص٥٥٢.

٧٨- الماوردي : المصدر السابق،ص٣٥.

٧٩- الماوردي : المصدر نفسه ،ص ٣٥.

٨٠- السمعاني : المصدر السابق ، ص١٤٤.

٨١- هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي ، قاضي القضاة ، تفقه على يد أبي حنيفة وسمع عطاء بن السائب ، وكان واسع العلم والمعرفة توفي عام ١٨٢هـ. اليافعي: المصدر السابق، ٢٩٧/١؛ ابن العماد : المصدر السابق ،٢٩٨/١.

٨٢- هو النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي ، فقيه العراق وإمام أهل الرأي ، وكان من أذكياء بني آدم ، جمع الفقه والعبادة والورع والسخاء، توفي عام ١٥٠هـ. الذهبي : العبر،١١٢/١؛ابن كثير: البداية والنهاية ،٩٩/١٠.

٨٣- ينظر محمد أبو زهرة: أبو حنيفة حياته وعصره، ص٢٢.

٨٤- كريدي: مقاييس الذكاء ، ص١٢-١٣؛ عبد الرحمن القيسي وآخرون : علم النفس التربوي، ص٢٤٥.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* الآجري ،أبو محمد بن الحسين بن عبد الله (ت٣٦٠هـ)

١- (الشريعة) ، تحقيق عبد الله بن عمر الدميجي ، ط٢ ،دار الوطن- الرياض١٩٩٩م.

* أبيض ، ملكة

٢- (التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة للهجرة) ،دار العلم للملايين، ط١- بيروت ١٩٨٠م.

* الأهواني ، أحمد فؤاد

٣- (التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي) - القاهرة ١٩٩٥م.

* ابن الأثير، عز الدين بن أبي الحسين علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)

٤- (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، دار الفكر، ط١- بيروت ٢٠٠٣م.

٥ - (اللباب في تهذيب الأنساب) ،دار صادر- بيروت ١٩٨٠م.

* ابن تغري بردي ،جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ)

٦- (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر د.ت.

* البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ)

٧- (التاريخ الكبير) ، تحقيق السيد هاشم الندوي ، دار الفكر- بيروت د.ت.

٨- (الصحيح) ، تحقيق د. محمد محمد تامر، دار الأفاق العربية ، ط١- القاهرة ٢٠٠٤م.

* البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت٥١٦هـ)

٩- (شرح السنة) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ،ط٢- بيروت١٩٨٣م.

* البيروتي ، محمد بن درويش بن محمد الحوت

١٠- (أسنى المطالب في أحاديث مختلف المراتب)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، ط١- بيروت١٩٩٧م.

* الثعلبي،أحمد بن محمد بن لإبراهيم (ت٤٢٧هـ)

١١- (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ، تحقيق الإمام أبو محمد بن عاشور ،ط٢، دار إحياء التراث العربي- بيروت٢٠٠٢م.

* الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ)

١٢- (البيان والتبيين)، دار ومكتبة الهلال ،ط١- بيروت١٩٨٨م.

* ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن أبي حاتم بن إدريس (ت٣٢٧هـ)

١٣- (الجرح والتعديل)، دار إحياء التراث العربي ، ط١- بيروت ١٩٥٢م.

* ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية (ت ٢٤٥هـ)

١٤- (المحبر) ، نشر دار المعارف العثمانية – حيدر آباد ١٩٤٢م.

* ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)

١٥- (الإصابة في تمييز الصحابة) ، تحقيق وتقديم صدقي جميل العطار، دار الفكر ، ط١- بيروت ٢٠٠١م.

١٦- (فتح الباري شرح صحيح البخاري) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ،دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ .

١٧- (لسان الميزان) ، ط٣ ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت١٩٨٦م.

* الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ)

١٨- (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)، تحقيق محمود الطحان ،مكتبة المعارف- الرياض د.ت.

١٩- (الرحلة في طلب الحديث) ، تحقيق نورا لدين عتر، دار الكتب العلمية ،ط١- بيروت١٣٩٥ه.

* ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ)
٢٠- (المقدمة) ، دار الفكر – بيروت ٢٠٠٤م.
* الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي (ت٤٤٤هـ)
٢١- (البيان في عد آي القرآن) ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، ط١ ، مركز المخطوطات والتراث - الكويت١٩٩٤م.
* أبو داود ،سليمان بن الأشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ)
٢٢- (سنن أبي داود) ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ،دار الفكر- بيروت د.ت.
* الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد المالكي (ت٣٣٣هـ)
٢٣- (المجالسة وجواهر العلم) ، ط١، دار ابن حزم- بيروت٢٠٠٢م.
* الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)
٢٤- (تذكرة الحفاظ) ، دار إحياء التراث العربي ،ط٤- بيروت١٩٥٦م.
٢٥- (سير أعلام النبلاء) ، دار الفكر ،ط١- بيروت١٩٩٧م.
٢٦- (العبر في خبر من غبر) ، دار الفكر ،ط١- بيروت ١٩٩٧م.
٢٧- (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار) ، تحقيق بشار عواد وآخرون ، ط١، مؤسسة الرسالة- بيروت١٤٠٤هـ.
* الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي(ت٦٠٦هـ)
٢٨- (التفسير الكبير) ،ط١ ، دار الكتب العلمية- بيروت٢٠٠٠م.
* الراغب الأصفهاني ،أبو القاسم حسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)
٢٩- (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) ،المكتبة الحيدرية ،ط١-طهران د.ت.
* ابن الأزرق ، محمد بن علي بن محمد الأصبحي(ت٨٩٦هـ)
٣٠- (بدائع السلك في طبائع الملك) ، تحقيق علي سامي النشار ، ط١، وزارة الإعلام- العراق د.ت.

* الزركلي ، خير الدين
٣١- (الأعلام) ، دار العلم للملايين ،ط٨ – بيروت ١٩٨٩م.
* الزمخشري،أبو القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)
٣٢- (الكشاف عن حقائق التنزيل) ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت د.ت.
* ابن أبي زمنين ،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى(ت٣٩٩هـ)
٣٣- (تفسير القرآن العظيم) ، تحقيق حسين بن عكاشة ومحمد الكنز ، ط١ ، الفاروق الحديثة- القاهرة٢٠٠٢م.
* ابن سحنون ، محمد بن عبد السلام (٢٥٦هـ)
٣٤- (آداب المعلمين) ، مراجعة وتعليق محمد العروسي، دار الكتب الشرقية ، ط٢- تونس ١٩٧٢م.
* السخاوي ،أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٩٠٢هـ)
٣٥- (فتح المغيث شرح ألفية الحديث) ، دار الكتب العلمية ،ط١- بيروت١٤٠٣هـ.
٣٦- (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة)، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ،ط١- بيروت١٩٨٥م.
* ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ)
٣٧- (الطبقات الكبرى) ، مراجعة سهيل كيالي ، دار الفكر، ط١- بيروت ١٩٩٤م.
* السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ)
٣٨- (أدب الإملاء والاستملاء) ،تحقيق ماكس فايسفايلر،ط١ ،دار الكتب العلمية- بيروت١٩٨١م.
٣٩- (الأنساب)، تقديم عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، ط١- بيروت١٩٩٨م.
* السمعوني ،أبو محمد طاهر بن صالح بن أحمد بن موهب(ت١٣٣٨هـ)

٤٠- (توجيه النظر الى أصول الأثر) ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب د.ت.

* ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي (ت٤٢٨هـ)

٤١- (السياسة في مجموع السياسة)، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ،مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية١٩٨٢م.

* السيوطي ،أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ)

٤٢- (الخصائص الكبرى) ،دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٥م.

* الشافعي ،أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ)

٤٣- (ديوان الإمام الشافعي) ، جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي ،ط٤،دار العلوم الحديثة- بيروت ١٩٧١م.

* الشربيني ،محمد الخطيب

٤٤- (مغني المحتاج الى معرفة معاني المنهاج) ، دار الفكر – بيروت د.ت.

* شلبي ، أحمد

٤٥- (تاريخ التربية الإسلامية) ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣- القاهرة١٩٦٦م.

* الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)

٤٦- (الوافي بالوفيات)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢٠٠٠م.

* ابن الصلاح،تقي الدين أبو عمرو عثمان (ت ٦٤٣هـ)

٤٧- (الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح) ، تحقيق صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد، ط١- الرياض١٩٩٨م.

* ابن عبد البر،أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ)

٤٨- (الإستيعاب في أسماء الأصحاب) ، دار الفكر – بيروت ٢٠٠٦م.

٤٩- (جامع بيان العلم وفضله) ، دار الكتب العلمية – بيروت١٣٩٨هـ.

* ابن عبد ربة، أبو عمر أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ)

٥٠- (العقد الفريد) ، دار إحياء التراث العربي ، ط٢- بيروت١٩٩٩م.

* العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت٨٠٦هـ)

٥١- (المغني عن حمل الأسفار) ، تحقيق أشرف عبد المقصود ،ط١، مكتبة طبرية- الرياض١٩٩٥م.

* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ)

٥٢- (تاريخ دمشق)، دراسة وتحقيق محب الدين العمروي ، دار الفكر- بيروت١٩٩٥م.

* ابن علان، محمد بن علي بن محمد البكري(ت١٠٥٧هـ)

٥٣- (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين) ، اعتنى به خليل مأمون شيحا ،ط٤، دار المعرفة – بيروت٢٠٠٤م.

* ابن العماد ،أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ)

٥٤- (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت د.ت.

* العيني ، أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد(ت ٨٥٥هـ)

٥٥- (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) ،دار إحياء التراث العربي- بيروت د.ت.

* الغزالي ،أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)

٥٦- (إحياء علوم الدين) ، ضبط وتخريج د. محمد تامر، مؤسسة المختار،ط١-القاهرة ٢٠٠٤م.

٥٧- (قواعد العقائد) ، تحقيق موسى محمد علي، عالم الكتب ،ط٢- بيروت١٩٨٥م.

* الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧هـ)

٥٨- (المعرفة والتاريخ) ، وضع حواشيه خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط١ – بيروت ١٩٩٩م.

* الفضلي ، عبد الهادي
٥٩- (القراءات القرآنية تاريخ وتعريف)، دار القلم ، ط٢- بيروت ١٩٨٠م.
* القاري،أبو الحسن علي بن سلطان محمد (ت١٠١٤هـ)
٦٠- (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) ، ط١ ،دار الفكر – بيروت٢٠٠٢م.
* ابن قتيبة ،أبو عبد الله محمد بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ)
٦١- (عيون الأخبار) ، دار الكتاب العربي – بيروت د.ت.
٦٢- (المعارف) ، دار الكتب العلمية ، ط٢- بيروت ٢٠٠٣م.
* القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري(ت٦٧١هـ)
٦٣- (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الشعب – القاهرة د.ت.
* القيسي ، عبد الرحمن وآخرون
٦٤- (علم النفس التربوي) ، مطبعة السعدي ،ط١- بغداد ١٩٦٢م.
* ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت ٧٧٤هـ)
٦٥- (البداية والنهاية) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت١٩٩٦م.
٦٦- (جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن) ، تحقيق عبد الملك الدهيش ، مكتبة النهضة الحديثة- مكة المكرمة د.ت.
* كرزون ،أنس
٦٧- (صحابة الرسول وجهودهم في تعليم القرآن الكريم) ، دار ابن حزم، ط١- بيروت٢٠٠٣م.
* كريدي ، ياسين عبد الصمد
٦٨- (مقاييس الذكاء وأهميتها في عملية التقويم والقياس) ، دار الحرية للطباعة – بغداد١٩٨٦م.
* الكيرانوي ،محمد رحمت الله بن خليل الحنفي(ت١٣٠٨هـ)
٦٩- (إظهار الحق) ، تحقيق محمد خليل ملكاوي- الرياض د.ت.

* ابن ماجة ،أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٥هـ)
٧٠- (سنن ابن ماجة) ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الفكر- بيروت د.ت.
* الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ)
٧١- (أدب الدنيا والدين) ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط٣- بيروت٢٠٠٤م.
* المبرد ،أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)
٧٢- (الكامل في اللغة والأدب) ، دار إحياء التراث العربي، ط١- بيروت٢٠٠٤م.
* المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري (ت٩٧٥هـ)
٧٣- (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) ، تحقيق محمود عمر الدمياطي ، ط١ ، دار الكتب العلمية- بيروت١٩٩٨م.
* ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس (ت ٣٣٤هـ)
٧٤- (السبعة في القراءات) ،تحقيق شوقي ضيف ،ط٢، دار المعارف- مصر١٤٠٠هـ.
* المزي ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ)
٧٥- (تهذيب الكمال في أسماء الرجال)، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر- بيروت١٩٩٤م.
* مزيد ، علي عبد الباسط
٧٦- (منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر) ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرةد.ت.
*مسلم ،أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري(ت٢٦١هـ)
٧٧- (صحيح مسلم) ، دار إحياء التراث العربي، ط١- بيروت٢٠٠٠م.
٧٨- (الكنى والأسماء) ، تحقيق عبد الرحيم القشقري ،ط١، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة١٤٠٤هـ.
* ابن مفلح ،أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (ت٧٦٣هـ)

٧٩- (الآداب الشرعية والمنح المرعية) ، تحقيق شعيب الأرناءوط وعمر القيام ،ط٢، مؤسسة الرسالة- بيروت١٩٩٦م.

* النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ)

٨٠- (المنهاج على شرح صحيح مسل بن الحجاج) ،دار إحياء التـرث العربي ،ط٤- بيروت١٣٩٢هـ.

* النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي(ت٨٥٠هـ)

٨١- (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ، تحقيق زكريا عميرا،ط١ ، دار الكتب العلمية- بيروت١٤١٤هـ.

* الواحدي،أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد (ت٤٦٨هـ)

٨٢- (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ،تحقيق صفوان عدنان داودي ،دار القلم – بيروت ١٤١٥هـ.

* الوراني ،ضياء الدين أبو حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلي (ت ٦٣٣هـ)

٨٣- (المغني عن الحفظ والكتاب) ، دار الكتاب العربي ،ط١- بيروت١٤٠٧هـ.

* اليافعي ،أبو محمد عبد الله بن أسعد(٧٦٨هـ)

٨٤- (مرآة الجنان وعبرة اليقضان)، دار الكتب العلمية ، ط١- بيروت١٩٩٧م.

* ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ)

٨٥- (معجم الأدباء)، دار الفكر ، ط٣- بيروت١٩٨٠م.